

## لمحة عن الاستشراق في ألمانيا

### الدكتور هبرت لانج

الملحق الثقافي بالسفارة الألمانية - الرباط

لا يمكن أن نحدد تحديدا دقيقا متى كان ظهور الاستشراق كعلم وكموضوع بحث في ألمانيا. فالدراسات العربية التي قامت بها بعض الجامعات الأوروبية في القرن الرابع عشر الميلادي لا يمكن أن نعتبرها بداية بالمعنى الصحيح للاستشراق، نظرا لأن تلك الدراسات لم تساعد على فهم وتفهم الإسلام، بل إنها على العكس من ذلك ساعدت أكثر على فهم اللاهوت المسيحي، ويعتبر Johann J. Reiske الذي عاش ما بين 1717 و1774 مؤسس علم الاستشراق في ألمانيا، ذلك لأنه كان أول من نشر وترجم بعض النصوص العربية، وبالأخص معلقة طرفة بن العبد بشرح ابن نحاس. وفيما بعد ازدهر نشر النصوص في القرون التالية فنشرت مئات النصوص العربية القديمة الأساسية في الشعر القديم، من عهد الجاهلية والإسلام: في اللغة والآداب والتاريخ والجغرافية والفلسفة والحساب والجبر والفلك والطب، ويقال إن مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره الفرنسيون والإنجليز مجتمعين. ذكر ذلك الباحث اللبناني الأستاذ صلاح الدين المنجد في كتاب له عن دور الألمان في الدراسات العربية والإسلامية.

ولابد أن نشير في هذا الصدد إلى الأعمال الأساسية لـ (1758 - 1838) (S. De Sacy) وأهمها بدون شك «Chrestomathie Arabe» أي النصوص المختارة العربية و«Grammaire Arabe» أي النحو العربي. إن De Sacy يعتبر إلى الآن مؤسس الاستشراق العلمي، وفقه اللغة العربية في الغرب، وهو أستاذ للأجيال من الباحثين، وقد أثر De Sacy تأثيرا كبيرا على جيل المستشرقين الألمان. ومن بين الطلبة الذين وفدوا إلى باريس للدراسة في المعهد الشهير : L'ecole speciale des langues orientales

vivantes يوجد بعض الألمان مثل (1788 — 1861) Georg Wilhelm Freytag و«فهرست ابن نديم» وقد استغرق هذا العمل مدة خمسة وعشرين عاما. Et Gustav Flugel (1802 — 1870) والجدير بالذكر أن Freytag أصبح في ما بعد باحثا في الآداب العربية وألف القاموس العربي اللاتيني الذي مازال مستعملا حتى الآن.

أما بالنسبة لـ Gustav Flugel فإن من المعروف أنه قام بنشر القرآن الكريم و«فهرست ابن نديم» وقد استغرق هذا العمل مدة خمسة وعشرين عاما.

ويعد Heinrich Fleischer أيضا من بين تلاميذ S. De Sacy لقد أنشأ معهدا للدراسات العربية في Leipzig، وقام هناك بدراسات عالجت قواعد اللغة العربية وخاصة De Dozy «Le supple-ent aux dictionnaires arabes»، وقام كذلك بنشر تفسير للقرآن الكريم للبيضاوي، ذلك التفسير الذي مازال مستعملا حتى اليوم؛ ويعتبر Fleischer أحد مؤسسي الجمعية الألمانية الشرقية في عام 1845 : Deutsche morgenlandische gesellschaft. وإذا كان علم الاستشراق في ألمانيا لغاية منتصف القرن التاسع عشر يقوم على أساس من المنهج اللغوي الدقيق، ومعالجة القرآن أولا وقبل كل شيء كنص لغوي وأدبي، فقد ظهرت فيما بعد مدرسة تاريخية يتزعمها C. Niebuhr et Ranke وفرضت نفسها في نهاية القرن التاسع عشر؛ وكانت تضم من بين أعضائها Gustav Well الذي كتب سيرة النبي محمد وتاريخ الخلفاء، وقد عثر فيما عثر عليه Gustav Well أثناء تنقلاته من خزانة إلى أخرى على بحث يضم جميع المصادر الممكنة عن حياة الرسول محمد — على مخطوطين لديار بكر هما «تاريخ الخميس» و«المسيرة الحلبية»، و J. Wellhausen الذي اشتهر أصلا بدراسته عن الثورة. بيد أن الحد الفاصل والحاسم في تاريخ الاستشراق وقع في بداية القرن الحالي عندما اكتشف العلماء والباحثون الإسلام على اعتبار أنه موضوع قائم بذاته من موضوعات البحث العلمي الأخرى، وجعلوا دراسة الإسلام علما مستقلا في ميدان الاستشراق.

ومما لاشك فيه أن أهم ممثلي هذا الجيل من الباحثين هو (1836 — 1930) Theodor Noldeke والذي يعتبر من أعظم المستشرقين. وضع Noldeke في عام 1856 أطروحة دكتوراه في اللغة اللاتينية حول موضوع «نشوء وتركيب السور القرآنية» و«تاريخ القرآن». وفي بعض مراحل حياته نذكر هنا إقامته في Leipzig حيث زار أستاذ علوم اللغة العربية الشهير Fleischer السالف ذكره وفي فيينا

حيث تعرف على مخطوطات المكتبة الملكية هناك، ثم في Leiden حيث اطلع على أعمال تلك المدرسة الحقيقية وشارك فيما بعد في نشر كتب الطبري At-Tabari. ويمكن القول أن T. Noldeke هو زعيم المستشرقين الألمان. هذا الرجل العقلاني الذي كان ينفر من كل ما هو رومانتيكي وصوفي لم يكن يهتم بدراسة التصوف. وعلى ذكر عهد الرومانتيكية في ألمانيا وعلى رأس من يمثل هذا العهد من المؤلفين Johann Wolfgang Von Goethe فلا بد أن نرجع شيئا ما إلى الوراثة لنجد مدى تأثير الإسلام على Geothe وتأثير Geothe على علم الاستشراق وقد كتب الكثير عن Geothe والإسلام على سبيل المثال يذكر هنا الباحث المغربي : A. Benachenhou Geothe et l'Islam, Rabat 1962 والذي يبرز فيه مدى اهتمام Geothe بشخصية النبي محمد العظيمة والقرآن الكريم. والمعروف أن Goethe قرأ القرآن عدة مرات في الترجمات المعروفة في عصره، وجذبت انتباهه بعض السور القرآنية وخاصة سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء وسورة المائدة، وسورة الأنعام وسورة العنكبوت.

ويقول Goethe عن القرآن في ديوانه «إن هذا الكتاب سيظل عظيم التأثير إلى الأبد لأنه عملي إلى أقصى حد، ولأنه يلائم غاية الملائمة حاجة أمة تبني مجدها على أساس من تراثها القديم وتتمسك بعاداتها الموروثة».

وعن موضوع الجدل بين المعتزلة والسنية حول خلق القرآن أو أزليته كتب Goethe في قصيدة مشرقة :

— هل القرآن أزلي ؟

— هذا السؤال لا أسأله.

— هل القرآن مخلوق ؟

— هذا ما لا أعرفه.

اما أنه أم الكتاب.

فذلك ما أومن به وذلك واجب كل مسلم.

إن ما يدعى عن تأثير Goethe على الاستشراق الألماني مبالغ فيه ولاشك لأنه لم يكن لديه إلا القليل من المعرفة باللغة العربية والفارسية، ويبدو أنه تأثر بترجمة لكتاب «ألف ليلة وليلة» لـ Antoine Galland وخاصة ترجمة الحافظ De V. Hammer-Purgstall والديوان الشرقي الغربي.

## المخطوطات :

المخطوطات العربية التي توجد في خزانة جامعة Tubingen وهي من أقدم الجامعات الألمانية حيث أنها أنشئت منذ 500 عام تقريبا تأتي في المرتبة الثالثة بعد مكتبة الدولة في Berlin وMunchen. ومن نوادر خزانة Tubingen نذكر :

— نسخة لكتاب فضائل القرآن لأبي القاسم بن سلام ألف في عام 561هـ.

— كتاب سمط اللآلء لأبي عبيد البكري والمكتوب بالخط المغربي.

— كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب للأندلسي علي بن موسى بن سعيد.

— حكاية عمر النعمان.

والجدير بالذكر أن خزانة Tubingen تحتوي على أكثر من 100000 كتاب من بينها فهرس المخطوطات العربية الموجودة فيها.

أما المخطوطات العربية في برلين Staatsbibliothek فقام بتأليف فهرسها المشهور الأستاذ Wilhelm Ahlwardt اعتبارا من عام 1863 واستغرق هذا العمل الجبار أكثر من عشرين عاما ويتضمن هذا الفهرس «Verzeichnis der orientalischen handschriften in deutschland (VDHO)». جل المخطوطات العربية في ألمانيا كما يدل على ذلك اسم الفهرس، ولعل أعظم ما قام به الألمان في هذا المجال هو فهرس المخطوطات العربية في مكتبة Berlin الذي وضعه Ahlwardt في عشر مجلدات وصف فيها عشرة آلاف مخطوط تقريبا.

أما بالنسبة لخزانة Bayrische staatsbibliothek muenchen فقد وضع فهرس المخطوطات فيها الأستاذ Aumer، بينما وصف الأستاذ Fleischer أكثر من 450 مخطوطا موجودة في مكتبة Dresden الوطنية.

هناك أيضا فهرس H.W وفيها وصف الكاتب المخطوطات الموجودة في مكتبة جمعية المستشرقين الألمان، وقد ألف H.W أيضا المنجد العربي الألماني الشهير الذي أصبح مرجعا لكل مستشرق.

وقد قدم C.B في كتابه «تاريخ الأدب العربي» عرضا كاملا لجميع المؤلفات الإسلامية باللغة العربية المتوفرة حتى منتصف القرن العشرين، مع إثبات جميع المخطوطات والمطبوعات وتحديد أماكنها ووصف مختصر لحياة مؤلفيها (المشهورين).

ومن أعمال B أيضا كتاب «تاريخ الآداب المسيحية في الشرق»، وهو كتاب عالج فيه مؤلفه الأدب المسيحي العربي والسرياني وموجز قواعد اللغات السامية المقارنة.

ومن المستحيل أن أذكر جميع الأساتذة الذين عملوا ولايزالون في ميدان

المخطوطات العربية، ومن بينهم : Josph Schacht, Otto Spies, Max Krause, Walter Hinz, Fritz Meier, Jorg Kramer, Rudolf Sellheim.

وقد قام الأستاذ Wilhelm Hoenerbach بوصف المخطوطات الموجودة في تطوان شمال المغرب، ودرس الأستاذ Stefan Wild في جامعة Bonn مخطوطات صنعاء في اليمن ويواصل الأستاذ Albrecht Noth من جامعة Hamburg هذا العمل من بعده.

وختاما لهذا الباب عن المخطوطات العربية بمكتبات ألمانيا من الواجب أن نشير هنا إلى أعمال الأستاذ Fuad Sezgin التركي الأصل المقيم في Frankfurt والذي كتب «تاريخ الأدب العربي» وأرشدنا إلى جميع المخطوطات العربية في مكتبات العالم.

ويحتوي معهد الأستاذ Sezgin على مجموعة من المخطوطات، خاصة في مجال العلم.

ولننظر الآن إلى المحيط السياسي والاجتماعي الذي عمل فيه المستشرقون الألمان خلال القرن العشرين، فبعد إنشاء الرايخ الألماني Deutsches Reich في عام 1877 على يد المستشار Bismarck كانت ألمانيا قد أصبحت بعد إنجلترا وفرنسا دولة استعمارية، لها رعايا من المسلمين في منطقة الساحل الشرقي لأفريقيا. وفي عام 1898 قام الإمبراطور ويلهلم الثاني بزيارة لسوريا والأراضي المقدسة المسيحية. وشهد عند قبر صلاح الدين في دمشق حفلا اعتبر فيه حاميا لثلاثمائة مليون مسلم.

واعتبارا من عام 1905 جرت محاولات للتغلغل في المغرب وكان الممثل الأول لألمانيا في سلسلة المؤتمرات حول المغرب المستشرق المعروف Friedrich Rosen الذي أصبح فيما بعد وزيرا للخارجية. وكانت ألمانيا تحاول الوقوف مع فرنسا في المغرب على قدم المساواة اقتصاديا وسياسيا. وكانت بطبيعة الحال تعتمد في هذه المحاولة على المزيد من المعرفة العامة عن المغرب والدراسة العلمية عنه، تشهد على ذلك المنشورات العديدة التي تتناول الجوانب الجغرافية والاجتماعية واللهجات المحلية، كما يشهد عليه إنشاء مكتبة ألمانية متخصصة بشؤون المغرب بطنجة. وقد

أشرف معهد برلين على أغلب ما نشر عن المغرب. ونجد هناك دراسات عن الأمثال المغربية.

— عن الأسلحة المستعملة في المغرب.

— عن اللفظ في اللهجة المغربية.

— عن الأمثال في شمال المغرب.

— عن ظهير شريف معين.

— عن قصص طنجة.

— عن القضاء المغربي.

— عن حق الأجانب في الملك العقاري.

إلا أن هذا الاهتمام بالمغرب الحديث لم يستمر طويلاً إذ توقفت التجربة الاستعمارية الألمانية مع نهاية الحرب العالمية الأولى. حيث رجع الباحثون إلى موقعهم التقليدي أي إلى دراسة ماضي الإسلام من كل جوانبه وإن ظلت محدودة النطاق، ويقول الأستاذ Ulrich Haarmann من جامعة Freiburg في مقال له عن المستشرقين الألمان والعصر الحديث في العالم الإسلامي: بأن دراسات مهمة مشرقة ظهرت في الفترة ما بين الحربين العالميتين مبرزاً دور معهد اللغات الشرقية في Seminar für orientalische Sprachen in Berlin. ومن مخلفات انهزام ألمانيا في الحرب العالمية الأولى نلاحظ ظاهرة غريبة تتجلى في توثيق الروابط الثقافية بينها وبين دول الشرق. فقد أفادت في أمور كثيرة ليس آخرها التضامن الدولي بين أعداء فرنسا وانجلترا، كما أفادت في فقدان ألمانيا لمستعمراتها ومنحت هذه الظروف الموتية، بالإضافة إلى السمعة الجيدة التي كان الاستشراق الألماني يتمتع بها في الشرق، وتمكن العديد من العلماء الألمان من العمل في بلاد المنطقة.

وعلى سبيل المثال نذكر الأستاذ Wilhelm Spitta الذي تولى كرسي فقه اللغة العربية بجامعة القاهرة وهو خبير في اللهجات العربية.

وقد أحدث وصول Hitler ونظامه النازي إلى الحكم أضراراً وخسائر جسيمة بالنسبة للاستشراق الألماني حيث أن عدد العلماء تقلص لعدة أسباب، أولها هجرة بعض الأساتذة من سلالة يهودية إلى المنفى وذهاب آخرين ضحية الحرب.

ويعتبر عام 1945 نقطة تحول بالنسبة للاستشراق الألماني وبالنسبة لعلم الإسلام. ويمكن القول إن الشك قد أحاط بكل شيء في فترة ما بعد الحرب

العالمية الثانية. ونلاحظ عودة ملموسة إلى علم الاستشراق القديم الآمن الذي خرج سليماً من عصر ما قبل الحرب، لا من حيث المناهج والجوهر البديهي فحسب بل في سمعته العالمية أيضاً.

وشكلت جامعة برلين الحرة استثناء في هذا المجال إذ استمر فيها الاهتمام بالعصر الإسلامي الحديث تحت قيادة Walter Krause et Fritz Steppat وتحولت إلى نواة لدراسات الشرق الأدنى المنصبة على الموضوعات الحاضرة ونرى أن أعمال جامعة برلين مارست تأثيراً ملحوظاً على جل جامعات ألمانيا.

أما اليوم فقد أصبح الاستشراق في ألمانيا علماً حياً من جديد. يدل على ذلك كثرة المجلات الاستشراقية التي تصدر في ألمانيا:

— مجلة المستشرقين الألمان Zeitschrift der deutschen morgenlandischen gesellschaft.

— مجلة الإسلام Der Islam.

— مجلة Islamica.

— مجلة الشرق Orient الصادرة عن المعهد الشرقي الألماني.

وأخيراً وليس آخراً مجلة «فكر وفن» التي صدرت لأول مرة في عام 1963 والتي وصلت اليوم إلى عددها 45.

أما الشاعر الرومانتيكي والمستشرق الحقيقي (1788 — 1866) Friedrich Ruckert فقد قال «الشاعر مثله مثل البهلوان يمشي على حبال الكلام».

وقد وُصفت المستشركة الأستاذة Annemarie Schimmel بأنها تعكس روح مولانا جلال الدين الرومي في تراجمها العديدة لأفكار هذا الصوفي العظيم. أو لكتاب «الحماسة» لأبي تمام أو لقسم مهم لديوان حافظ وبعض المقطوعات من آثار فريد الدين العطار ورباعيات الخيام. وكان Ruckert يشتغل بدراسة القرآن، وقد نشر بعض آياته في ترجمة جميلة جداً في عام 1824 ولم يتمكن من ترجمة القرآن بأكمله، ويقال أنه لا يوجد في الدنيا من استطاع القيام بترجمة من هذا المستوى، وقد حافظ في الصياغة الألمانية على الأسلوب الخاص للقرآن حيث احترم هذا الجمال الإعجازي الفريد للقرآن. وقبل أن نعود إلى القرن العشرين لا بد أن نلقي نظرة على الدور المهم الذي لعبه Carl Heinrich Becker (1876 — 1933)، وهو أول أستاذ لتاريخ وثقافة الشرق في معهد المستعمرات الذي أنشأ

## التراث والمعاصرة

الدكتور محمود علي مكي

أستاذ بكلية الآداب - القاهرة

القديم والجديد... التقليد والحداثة... الأصالة والتجديد... التراث والمعاصرة. قضايا ما فتئت تثار في الأوساط المثقفة في عالمنا العربي بين فترة وأخرى، وثار حولها الجدل، وتختلف حولها الآراء، إذ أنها تصور أزمة الثقافة في مجتمعاتنا منذ القرن الماضي حتى اليوم. وعلى الرغم من كثرة ما كتب حول هذا الموضوع فما زالت المؤتمرات والندوات تعقد حوله، وإذا كان الخلاف لا يزال محتدما بين الباحثين العرب حول الحلول التي يراها كل منهم لأزمة ثقافتنا الحديثة فإن ذلك الجدل كله كان مغنيا للأفكار موسعا لدائرة البحث ملقيا ضوءا يعيننا على تبين طريقنا نحو المستقبل.

وقد كان لمصطلح «التراث» في غمرة هذا الجدل الذي يتجدد بين وقت وآخر مكان يمثل محور القضية فالذين يتحدثون عن القديم أو عن التقليد إنما كانوا يقصدون به تراث أمتنا و موروثها الحضاري أو الثقافي، والذين يتحدثون عن الحداثة أو التجديد كانوا يقصدون دائما كيفية التعامل مع هذا التراث سواء منهم الذين سيتمسكون به تمسكا شديدا أو الذين يتطرقون في رفضه والدعوة إلى تجاهله، أو المواقف الوسطية التي تتراوح بين هذين الموقفين.

ولهذا فإنه ينبغي أن نعرض في إيجاز لمدلول كلمة التراث. وهو لفظ مشتق من الأصل الثلاثي ورت. جاء في التنزيل الحكيم: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾، غير أن التراث هنا هو ما يخلفه الرجل لورثته من مال وهو بمعنى الإرث، وروي عن النبي ﷺ أنه بعث ابن مربع الأنصاري إلى أهل عرفة فقال: «اثبتوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث إبراهيم»، ومن ذلك إشارة إلى أن الإسلام

في Hamburg وهو نواة جامعة Hamburg الحالية. وكانت المجلة التي أصدرها وهي «مجلة الإسلام» Der Islam تعد آنذاك واحدة من خيرة المجلات العلمية المختصة بالعالم الإسلامي، وما زالت المجلة إلى اليوم تتمتع بهذه السمعة.

واسمحو لي أن أذكر هنا أسماء بعض المستشرقين المعاصرين الألمان الذين يتابعون أبحاثهم العربية والإسلامية في مختلف الميادين وهم الأساتذة والدكاترة:

Fritz Steppat, Baber Johansen (Berlin); Werner Endc, Albrecht Noth, Udo Steinbach (Hamburg); Stefan Wild, Otto Spiess, Wilhelm Hoenerbach (Bonn); H.R. Roemer (Freiburg); G. Endress, Reinhard Schulz (Bochum); H. Singer, Martin Forstner (Mainz); Josef Van Ess (Tubingen); Wolf Fischer (Erlangen); E. Wagner (Giessen).

أما اليوم فعدد الطلاب الذين يختارون التخصص في ميدان الاستشراق يتزايد بصورة ملموسة رغم عدم وجود مناصب في الجامعات الألمانية للمستشرقين الشباب.

ويرجع الفضل في ذلك للاهتمام السياسي والاقتصادي الذي تخص به جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ السبعينات الشرقيين الأدنى والأوسط. ونأمل أن يزداد هذا الاهتمام بالرغم من تغير الظروف السياسية وحتى الاقتصادية.

وفي ختام هذا العرض المتواضع، علينا أن ننظر إلى المستقبل وأنا أدعو زملائي المحترمين إلى المزيد من التعاون العلمي وندوتنا هاته تشكل بدون شك خطوة في هذا السبيل.